

**مكانة ثورة أول نوفمبر 1954 بين الثورات العالمية
ودورها في تحرير الجزائر**

الدكتور: يحي بوعزيز

شهد التاريخ الحديث والمعاصر، عددا من الثورات، عالمية التأثير، بسبب ما أحدثته من تغيير في أوضاع البلدان التي اندلعت فيها، والبلدان الأخرى خارج حدودها، ومعلوم أن الأحداث التاريخية تقاس بمدى ما أحدثته من تأثير، وتغيير في الأوضاع الداخلية والعالمية.

ومن ضمن هذه الثورات العالمية التأثير :

-الثورة الأمريكية عام 1776م.

-الثورة الفرنسية عام 1789م.

-الثورة الروسية عام 1917م.

-الثورة المصرية عام 1952 م.

-الثورة الجزائرية أول نوفمبر عام 1954 م .

غير أن الثورة الجزائرية لها ميزات، وخصائص ن تميزها عن هذه الثورات، وتجعلها أعظم منها، وأبلغ تأثيرا كما سنوضح بالأمثلة والأدلة بعد تشريح وتقييم الثورات السابقة لها.

فالثورة الأمريكية تأتي أهميتها في كونها استطاعت أن تحرر الثلاثة عشرة ولاية على الشاطئ الغربي الشمالي للمحيط الأطلسي بأمريكا الشمالية من الاستعمار الإنجليزي، وان تعلن حقوق الإنسان بالنسبة للإنسان الأوروبي في تلك المنطقة، ولكن هذه الثورة سرعان ما انزلت بعد ذلك إلى الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب، بسبب مشكلة الاسترقاق، والعبيد الأفارقة

السود، التي ما تزال قائمة حتى اليوم، وتمثل وصمة عار في جبين المجتمع الأمريكي الذي يطبق سياسة التفرقة العنصرية ضد الأفارقة السود، والهنود الحمر، ثم إن الثورة الأمريكية قهرت الإنسان الأمريكي الأصل، ووسخت دمه النقي، بدماء الأوربيين المستعمرين، وفرضت سيطرة الأوروبي الذي ذهب إلى هناك غازيا، ومستعمرات، ومستعبدا، وهكذا يتضح أن هذه الثورة الأمريكية بقدر ما كانت خيرا وفائدة، ورحمة وبركة، على الأوروبي الغازي، فهي لعنة ونقمة على الأمريكي النقي الأصل الذي طردته من أرضه ووطنه، وقهرته، واستبعدته، وشردته، وما تزال تطارده إلى اليوم، رغم أنها تزعم لنفسها إعلان حقوق الإنسان.

والثورة الفرنسية عام 1789 م عظيمة الأثر لكونها حطمت أعظم ملكية مستبدة جائزة في أوروبا، وأعادت للشعب الفرنسي كرامته، وحرية، وبعد أن ألغت نظام الإقطاع، وامتيازاته، التي كانت تقسمه إلى طبقات اجتماعية متفاوتة ومختلفة، من حيث الحقوق والواجبات، وكان كابوسها، ثقيلًا على المجتمع الفرنسي لعدة قرون خلت، ثم إن هذه الثورة استطاعت أن تقوض عروش أوروبا الأخرى، وتبعث في شعوبها روح الأمل في التحرير والانعقاد، من مخالب الإقطاع وجبروته، وذلك بفضل المبادئ والمثل، التي جاءت بها ونادت بتطبيقها. وكان لها الفضل بعد ذلك غب اندلاع الثورات الدستورية في هذه الحقبة من التاريخ الأوروبي الحديث

المعاصر.

ولكن الثورة الفرنسية رغم كل هذه كانت ثورة حمراء سالت فيها الدماء أنهارا وقطعت المقصلة رؤوس حوالي خمسة عشر ألف شخص في ظروف شهر ونصف معظمهم من الأبرياء، ثم إن هذه الثورة سرعان ما تحولت عن أهدافها التحريرية، وانساققت وراء سياسة التوسع والاستعمار داخل أوروبا وخارجها، بزعامة نابليون الأول بونابرت الذي غزا إيطاليا النمسا وألمانيا وإسبانيا في أوروبا ومصر وسوريا في المشرق العربي وهدد حتى الجزائر بنفس المصير، لو لم تعاجله المشاكل الداخلية والخارجية الدولية، لما تحالفت ضده عروش أوروبا، بصورة خاصة، بريطانيا و النمسا، فسقط وقضى بقية حياته في المنفى حتى توفي وعادت الملكية البوربونية مرة أخرى إلى العرش الفرنسي، ولكن إلى حين على أي حال لتخلفها ملكية أورليان لفترة قصيرة كذلك.

ومما تجدر ملاحظته هنا، هو أن الثورتين: الأمريكية و الفرنسية لم تكونا أول من أعلن حقوق الإنسان لان المسلمين عرفوا حقوق الإنسان منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وطبقوه في كل البلاد التي وصل إليها الإسلام وساد وانتشر بها.

والثورة الروسية عام 1917 م حررت لشعب الروسي من ظلم وجبروت القياصرة المستبدين، وسيطرة الإقطاع الفلاحي المتخلف، وساعدته على تخطي عصور التخلف بسرعة ولو بتضحيات كبيرة، وتحقيق

معجزاته الكبرى في ميادين: الثقافة، الاقتصاد، التكنولوجيا، علوم الذرة، الفضاء والطاقة النووية وغيرها، وهذا النمو والتطور السريع في هذه المجالات العلمية والتكنولوجية هو الذي ساعد على تأثير هذه الثورة الروسية في الشعوب المجاورة لها بشرق أوروبا وفي الصين والهند الصينية بآسيا.

ولكن هذه الثورة الروسية لا تستطيع أن نبرئ نفسها من التحكم والسيطرة التي يفرضها الشعب الروسي على شعوب غير روسية بآسيا الوسطى والشرقية، خاصة الشعوب الإسلامية في القوقاز والتركستان وكازاخستان وقرغيزيا وغيرها ويسعى لتذويبها والقضاء على شخصيتها التاريخية والحضارية، وتجري هذه العملية حاليا على شعب أفغانستان كذلك، ما لم تحدث تطورات دولية أو داخل هذا البلد، وقد تمكنت شعوب آسيا الوسطى الإسلامية من التحرير على أي حال.

والثورة المصرية عام 1952م ذات فضل كبير في تغيير أوضاع مصر الداخلية ومركزها الخارجي، خلال حكم الرئيس عبد الناصر، فقد حررت لشعب المصري من الملكية الفاسدة والأقلية الإقطاعية الفرعونية المستغلة والبرجوازية، المتعاونة مع الاستعمار الإنجليزي وساعدته على اقتحام معارك البناء،الاقتصادي، الحضاري والسياسي في أوسع مجالاتها، وكان من أبرز مكاسبها طرد الاستعمار الإنجليزي من البلاد واستعادة قناة السويس إلى

الشعب المصري وبناء السد العالي ووضع السلطة في أيدي الشعب المصري بصورة حقيقية

ولكن الثورة المصرية يقف في طريقها الإقطاع الداخلي الذي عاد إلى ظهور في عهد السادات والرجعية العربية في المنطقة التي ترى فيها خطرا محدقا بها، وتسعى جهدها لتصفيتها مستعينة بالقوى الخارجية الإمبريالية التي تشاطرها الرأي، لأن الثورة المصرية هي السبب في كل الانتفاضات التي حصلت بالشرق العربي خاصة بالعراق واليمن وإمارات جنوب شبه الجزيرة العربية وسوريا ولبنان وغيرها.

ومن نافلة القول كذلك عائق إسرائيل التي ترى في نهضة مصر و تقدمها أكبر خطر عليها وضدها وتمكنت من إقناع الولايات المتحدة الأمريكية على وجهة نظرها وهي أكبر قوى عالمية ذات تأثير أساسي ومن هنا تعاون اليهود والأمريكان على احتواء هذه الثورة المصرية في عهد السادات، بعد أن وضعوا ضدها عوائق لا تحصى ومهولة في عهد الرئيس عبد الناصر، يبذلون جهودا جبارة لتغيير مسارها لتكون عوناً للإمبريالية والصهيونية العالمية خاصة بعد إبرام معاهدة كامب ديفيد، وعن طريقها يتم احتواء باقي الثورات العربية، كما يلاحظ الآن في العراق بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، وكما حدث في اليمن الشمالي ولا ندري ماذا يحدث بعد هذا إن لم تحدث تطورات غير متوقعة، وقد حصلت في

نهاية القرن العشرين تطورات ايجابية على أي حال.
أما الثورة نوفمبر 1954 الجزائرية فعاليتها أعظم تأثيرا أو بلغ أهمية سواء في الميدان الداخلي للجزائر، أو العالم الخارجي، وذلك لكونها كانت ثورة مسلحة ضد سلطة استعمارية شرسة حكمت البلاد بصورة مباشرة طوال قرن وثلث القرن، وكانت ثورة ضد روح التشكيك في زرعته هذه السلطة الاستعمارية خلال هذه الفترة الطويلة كذلك، وجعلت الشعب الجزائري يرى تاريخه الطويل الزاخر بالأمجاد و البطولات شبحا وخيالا، أو بمثابة سراب. وكانت ثورة نموذجية أيقظت معظم الشعوب الإفريقية وحفزتها على المطالبة بحرياتها واستقلالها، وتحقق ذلك والحمد لله والشكر له.

1 - ثورة أول نوفمبر 1954 أعادت الثقة للجزائري بنفسه

ولكي يكون لهذا الكلام معنى ودلالة لابد من إيراد الأمثلة والبراهين المادية على ذلك من واقع هذه البلاد وتاريخ شعبها، ومن واقع البلدان الخارجية الإفريقية التي تأثرت بها، ولنبدأ بالميدان الداخلي:

لقد خضعت الجزائر للإحلال الفرنسي قرنا وثلث القرن، وعمل هذا الاستعمار كل ما في وسعه وطاقته، أن ينسى الشعب الجزائري أصله، وأن يطمس تاريخه ويشطب بالقلم على أمجاده

الحضارية التي تمتد إلى غابر الأزمان وعانى الشعب الجزائري الشيء الكثير من الصيم والجور والقسوة، والحييف، والحرمان والتشريد، وكان أخطر ما عاناه فوق كل هذا هو حالة التشكيك في أصله وماضيه، وفي شخصيته الوطنية والقومية، مما جعل بعض الجزائريين يجرؤون على القول بأن ليس هناك بلدا اسمه الجزائر، ولا شعبا اسمه الجزائري العربي المسلم، ودعوا إلى إدماج هذه البلاد وشعبها في البلاد الفرنسية والأوروبية وفي المجتمع الفرنسي الأوروبي المسيحي النصراني.

وعندما قامت ثورة نوفمبر 1954 أعادت الثقة للشعب الجزائري بنفسه، وأكدت له أصالته التاريخية العربية والعرقية والحضارية التي تمتد إلى أعماق التاريخ القديم وعودة الثقة هذه هي الدعاية الأساسية للكفاح البطولي الذي خاضه الشعب الجزائري طوال سبع سنوات ونصف.

وقد تبدو للبعض هذه "الثقة العائدة" بسيطة أو ساذجة، ولكنها في الحقيقة الواقع، بالغة الأهمية، ولولاها لما حمل شعبنا السلاح، ولما تحمل تلك الأهوال الجسام التي تعجز الجبال عن تحملها.

وهناك اليوم أمثلة حية لشعوب فقدت ثقة في نفسها، وعجزت عن فعل رأي شيء، البعض منها في طريق الذوبان في الغير، والبعض يخطط لها نفس التخطيط إذ لم تتحرك، من ضمنها: الهنود الحمر بأمريكا الشمالية والجنوبية، وسكان أستراليا ونيوزيلندا الجديدة،

ومعظم أرخبيلات المحيطين الهادي والهندي، وحتى الأطلسي، الذي مسختهم المجتمعات الأوروبية الغازية، والمستعمرة لبلدانها، إذ مسختهم ولم تبق على البعض منها إلا من أجل الاستغلال السياحي و الدراسات البشرية كما يجري الحال بأستراليا، ومن قبيل هذا شعب السود بجنوب إفريقيا سابقا والشعب الفلسطيني بالأراضي المحتلة بحيث تمارس إسرائيل والأقلية البيضاء في جنوب إفريقيا في إطار سياسة القضاء على السكان الوطنيين بمختلف الوسائل مع اعلم بأن السود والفلسطينيين يقاومون على كل حال، ولكنهم لم يجدوا التأييد المطلوب من إخوانهم العرب و الأفارقة، وقد تحرر السود بزعامة مانديلا، وما يزال الشعب الفلسطيني يكافح ويقاوم.

لقد كافح شعب الجزائر، قبل ثورة نوفمبر 1954 سبعين عاما بالسلح، ونصف قرن بالسياسة، فلم يحصل على طائل، وكنا نسمع دائما بان الجزائر قلب ميت وطائر مكسر أعاق الجناحين تونس و المغرب الأقصى ، عن الحركة و السير ، سمعنا هذا من بعض إخواننا التونسيين و المغاربة في مطلع الخمسينات عندما بدأوا يحاولون القيام بانتفاضتهم وهم محقون في ذلك ظاهريا لأنهم لم يكونوا يحسون بثقل الكابوس الذي كنا نحن الجزائريين نرزخ تحته، ونعاني آثاره ومتاعبه ومشاقه.

إن ثورة أول نوفمبر 1954 هي التي دفعت هذه الشبهة وأزالت هذا

التشكيك وأثبتت للخاص و العام، وللعديو والصديق، إن الجزائر لم تكن قلبا ميتا، ولا طائرا مكسر الجناحين بل هي قلب شاب ينبض بالحياة و الحيوية والنشاط، وصقر لا تناله السهام، والنبال ولا تفلت منه فريسته مهما كانت طاغية أو شرسة.

إن ثورة أول نوفمبر 1954 من هذه الناحية هي "البعث الجديد" للجزائر الجديدة والحديثة، بكل أبعادها ومفاهيمها، وقيمها الحضارية العريقة وأمجادها البطولية الخالدة. إن هذه الثورة وعت كل الدروس التي مضت، واستخلصت العبر من أخفاق كل الثورات السابقة لها من الأمير عبد القادر ، الحاج أحمد باي، وبومعزة، وبوزيان، وبوبغلة، وبحمارة، والحاج عمر، وفاطمة نسومر، وبوخنتاش وسي الصدق الرحماني إلى أولاد سيدي الشيخ، والمقراني، والحداد، وبوعمامة، والشيخ عايش، والعمرى، وغيرهم الذين حملوا لواء الكفاح المسلح في قرن التاسع عشر، ولكنهم لم يكونوا يخططون لعملهم، ولا يعتمدون على القاعدة الشعبية. بمفهومها الصحيح و السليم كجبهة وإنما كانوا زعماء لثورات محلية إقليمية متابعة في الزمن والمكان، معزولة عن الإمكانيات التي توصلها إلى أهدافها النبيلة وهو طرد الاستعمار واستعادة الاستقلال الوطني، ولذلك أخفقوا وأخفقت معهم هذه الحركات والثورات والانتفاضات وتمردات المسلحة. وقد فهمت ثورة أول نوفمبر جيدا، إن ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بها، إن الحرية تؤخذ

وتتزع ولا تهدى أو تعطى في طبق من حرير. كما أنها درست التجارب السابقة لها، وهي حصيلة سبعين عاما من الكفاح المسلح العنيف وخمسين عاما من الكفاح السياسي المتواصل، وأصرت على ألا تدخل المعركة إلا بـ "جبهة قوية موحدة" تمثل كل فئات وطوائف الشعب، لتحميها من المهالك، والمزالق والإخفاق إلا بقيادة جماعية مخططة تجنبها، وتضمن لها النص والنجاح، وهو ما فعلته ن طبعا.

وليس من السهل أبدا، توحيد شعب في جبهة واحدة، ببلد عشش فيه الاستعمار وكبش بأنياه ومخالبه عليه وعلى مقدراته طيلة قرن وربع القرن، وكاد الكثير من زعمائه أن يدعوا النبوة والرسالة وتباينت آراؤهم حول المطالب الوطنية الواضحة للشعب الجزائري تباينا خطيرا وعميقا، فالبعض دعوا إلى التجنيس والفرنسة والإدماج والذوبان في المجتمع الفرنسي الأوروبي المسيحي والبعض دعوا إلى تحقيق إصلاحات اجتماعية لا تتعدى الشؤون الدينية، الاقتصادية الثقافية والاجتماعية، والبعض رضوا نتيجة للتطور التاريخي ب بروز شخصية جزائرية، ولكن في إطار الاتحاد الفرنسي كيانه وتحت علمه.

ولم يكن هناك إلا تيار استقلالي واحد برز مع ظهور هيئة : نجم شمال إفريقيا " في بداية العشرينات من القرن الحالي. وتدرج في إطار "حزب الشعب الجزائري" قبيل الحرب العلمية الثانية وفي إطار

"حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وبعدها، ولكن هذا التيار كان محاربا من الجميع الاستعمار الفرنسي وأذنا به وأعوانه من الجزائريين.

وقد وصلت الخصومات بين هذه التيارات السياسية الجزائرية إلى درجة العفونة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مطلع الخمسينات بصورة خاصة، وتسربت هذه العفونة حتى إلى داخل التيار الاستقلالي نفسه. "حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" الذي انشق على نفسه إلى شقين دخلا في دوامة من الصراع الحاد المرير، بين الزعيم الهرم، والأكثرية من الشباب المناضلين، ما جعل الاستعمار يطمئن للوضع ويتفرج من بعيد.

لقد كان فضل ثورة أول نوفمبر 1954 في توحيد هذه الشتات "مكسبا وطنيا هائلا" وفي منتهي العظمة بل والقداسة، بحيث أذابت الجميع في "جبهة التحرير الوطني سياسيا" وجيش التحرير الوطني "عسكريا، الأغلبية عن إيمان واقتناع، والأقلية بـ"الموسى" و"الخنجر" و"الشاقور" وكان هذا إنجازا عظيما للثورة في أول نوفمبر 1954 لم تحققه ثورة أخرى غيرها في العصر الحديث لا في إفريقيا ولا خارجها.

2 - الصعاب الداخلية التي واجهتها الثورة

ولكي ندرك عظمة ثورة أول نوفمبر 1954، داخل الجزائر و خارجها، ومدى تأثيرها على الشعوب الإفريقية و دفعها لخوض

عملية التحرر والانعتاق من الاستعمار الأوروبي، وينبغي استعراض الصعاب التي واجهتها، و المنجزات التي حققتها، داخليا و خارجيا، ولنبدأ بالصعاب .

لقد كانت الجزائر في نظر التشريعات الفرنسية، قطعة من التراب الفرنسي رغم وجود 950 كلم من مياه البحر المتوسط فاصلا بينهما، الاختلاف والتباين في العرق والجنس واللغة والعقيدة والتاريخ والعادات والتقاليد، بل وحتى الجغرافية والمناخ والظروف الطبيعية الأخرى، وتمشيا مع هذه النظرة الزائفة، والخرافة الباطلة، استماتت فرنسا في مقاومة الثورة الجزائرية واستعملت كل الوسائل التي فاقت حتى إمكانياتها وطاقاتها المادية والبشرية، فجدت ما يزيد عن مليونين من الجنود، وسلحت قرابة مليون معمر أوروبي مستوطن بالجزائر، واستعانت بخبرة الحلف الأطلسي وإمكانياته العسكرية والنفسية وجندت طابورا من جنود "الحركة" و"القوم" الجزائريين الدين باعوا ذممهم ووطنيتهم وضمائهم، وأقامت معسكرات الاحتشاد و التجمع التي ساقط إليها مئات الآلاف من أفراد الشعب كمحاولة لفصل الثورة عن الشعب، وأقامت مناطق محرمة في شرق البلاد ورغبها وعززتها بخطوط والأسلاك الشائكة المكهربة، والطرق الملقمة والمراكز العسكرية المجهزة بالكتائب العسكرية الخفيفة والأسلحة الثقيلة التي تصيب أهدافها على المسافات البعيدة ووسائل الاتصال السريعة.

كل ذلك من اجل عزل الجزائر تماما أرضا وشعبا عن العالم الخارجي ومنع وصول المؤن و النجديات العسكرية إلى الثوار والمجاهدين و جهزت آلاف من الطائرات الاستكشافية و القنبلة لمراكز الثوار لتي زاد معدل قذفها الشهري على عشرة 15 ألف عملية طلوع كما روت ذلك جريدة (لومند) الفرنسية، وهو تقدير أقل من الواقع على ما يبدو، وعززت ذلك بفرق الجيش الفرنسي الخفيفة والسريعة الحركة والتنقل لملاحقة ومتبعة الثوار و شنت عمليات عسكرية ضخمة ودورية اكتسحت الجزائر شبرا بشبر، وشعبة بشعبة، جبلا بجبل، من اجل إفناء جنود جيش التحرير الوطني.

وكان من أبرز هذه العمليات العسكرية الضخمة: المجر و شال ومارثون والضباب وسير البلد والصرصور وغيرها، في جبال تلمسان، الونشريس، الأطلس البليدي، جرجرة، البيان، البابور، الحضنة، بوطالب، الاوراس وسوق أهراس وغيرها.

ومن سمات هذه العمليات العسكرية: الضخامة في العدة والعدد، وطول المدة من شهر إلى ثلاثة أشهر، بل أن عملية المجر في جبال البيان والقبائل الصغرى دامت أكثر من تسعة أشهر، وانتشر خلالها جنود الجيش الفرنسي في كل كدية و شعبة وقمة جبل واستعملوا أدوات المجر لاستكشاف كل ما يدب على الأرض من

إنسان وحيوان، وأجهزة الاتصال اللاسلكية ، والقذف السريع والبعيد المدى وطائرات الاستكشاف الصغيرة التي يمكنها أن تكون قريبة جدا من الأرض، وكانوا يقذفون حتى الكلاب، الحمرة، الدجاج و القطط عندما يشاهدونها في أية منطقة عمرانية.

وتم إنجاز معظم هذه العمليات العسكرية الضخمة في عهد الجنرال ديغول ولشدة هولها وقساوتها، كانت الأحمررة، و القطط تُسرّع إلى الاختفاء عندما تسمع أزيز الطائرات، كما أكد لنا أكثر من مجاهد في الولاية الثالثة ذلك. وزيادة على هذه العمليات العسكرية الضخمة مارست القوات الفرنسية عمليات التعذيب الجهنمية بمختلف الوسائل والأساليب والأشكال كقلاع الأظافر بالكلاليب، تسليط الكهرباء على أجزاء الجسم الحساسة، بقر بطون الحوامل، تعليق الأشخاص بصورة مقلوبة، غطس الرؤوس في الأحواض المياه الحارة أو العفنة أو الباردة، وضع حنفيات المياه في أفواه الأشخاص وفتحها حتى تمتلئ البطون ثم ترفس بالأرجل لخرج المياه على الدبر، إكراه الناس على شرب مياه الصابون، المشي على الزجاج والمسامير، سحب البعض عطشى مع وجود الماء إلى جانبهم، جرح الأجسام بأمواس الحلاقة، الضرب المرح والركل والرفس بمؤخرات البنادق، العصي، القطع الحديدية وإيداع البعض في بيوت مظلمة وباردة أياما وأسابيع على الإسمنت وما إلى ذلك من فنون التعذيب الجهنمية. وتواصلت هذه العمليات طوال سنوات الثورة

السبعة، دونما نتيجة، لأن الثورة لم تفشل ولم تعزل عن الناس و الشعب لم يتردد في دعمها وإمدادها بكل ما تحتاج إليه من مؤن وذخائر وعون مادي وبشري ومعنوي وذلك إحدى جوانب عظمة هذه الثورة المباركة والمظفرة والمنتصرة.

3 - منجزات الثورة داخليا

إن كل هذه الوسائل الجهنمية التي استعملتها فرنسا ضد الثورة، لم تقدها في شيء، بل أن الكثير منها عاد عليها هي بالوابل والخسارة، بينما واصلت الثورة سيرها وتطوها بتدرج و تطور منطقي منتظم، فرعد لإنطلاقها في صباح أول نوفمبر 1954، لم تمض عشرة شهور عليها حتى انطلقت انطلاقتها الثانية في هجومات 20 أوت 1955، التي عمت كل مدن وقرى الشمال القسنطيني، وفي رابعة النهار لتسفه أحلام وأكاذيب الدعاية الفرنسية التي كانت تدعي وتزعم للعالم بأن متزعمي هذه الحوادث((فلاقة)) وقطاع الطرق مدفعون من الخارج وليسوا ثوار ذوي أهداف وطنية.

ثم اكتمل شمول الثورة وتعميمها في أكتوبر من نفس العام عندما فتحت جبهة وهران الغربية أو الولاية الخامسة، واندلعت فيها حوادث الثورة العسكرية بصورة مكثفة وشاملة ومنتظمة.

وفي مؤتمر الصومام ابتداءً من 20 أوت 1956م حققت الثورة

شخصيتها السياسية والعسكرية ووضع إطار لجيش التحرير الوطني مكنه من أن يصبح جيشاً نظامياً في مستوى جيش العدو، بل وأقوى منه في العزيمة والخطط والأساليب، واستحدثت له ألقاب وأطر و تقسيمات عصرية وخطط للمواجهات العسكرية مع العدو، وبرزت جبهة التحرير الوطني بشخصيتها الوطنية والدولية، وأهدافها الواضحة ومطالبها العادلة التي اعترفت بشرعيتها كل العالم المتحرر، وأصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة الجزائرية، يلعبان دوراً بارزاً وهاماً في مقاومة الأعداء الدبلوماسية الفرنسية في الخارج، كما أصبح جيش التحرير الوطني يلعب دوراً بارزاً كذلك في مقاومة أساليب جيش الاحتلال الفرنسي في الداخل، ومكر الإدارة الاستعمارية كذلك في المدن والقرى والأرياف.

وكان ميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958 خطوة هامة وإيجابية لكسب الاعتراف الدولي بالدولة الجزائرية الجديدة والعائدة بعد غياب قرن وربع القرن، ولإرغام الجنرال ديغول على الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الجزائري في تصريح 16 سبتمبر 1959 و ذلك لأول مرة منذ 1830.

ثم جاءت مظاهرات ديسمبر 1960 لتفضح كل أكاذيب وإدعاءات ضباط الجيش الفرنسي التي تزعم بأن الثورة الجزائرية قد ماتت

وقبرت، وأن الشعب الجزائري قد تخلص من جبهة التحرير الوطني، وانضم إلى فرنسا وجيشها، وكانت صيحات المتظاهرين بشعارات: تحيا الجزائر وجبهة التحرير و((تسقط فرنسا والاستعمار)) في عين تيموشنت، وهران البليدة، الجزائر العاصمة، قسنطينة وعنابة أخطر إنذار واجهه ديغول منذ وصوله الحكم عام 1958، فاضطر أن يقطع رحلته ويعود إلى فرنسا، ليكشف ريف وكذب التقارير التي كان يتلقاها من ضباط الشؤون الأهلية بالجزائر، ومن مستشاريه العديدين، فشرع في الحين في مخاطبة جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وتفاوض معها على أساس وقاعدة الاعتراف بالاستقلال الوطني الكامل للجزائر.

4 - حطمت الثورة سبعة حكومات و الجمهورية الرابعة

لقد حطمت الثورة الجزائرية سبعة حكومات فرنسية متوالية هي: حكومات: مانديس فرانس، موللي الأولى: بورجيس مونوري، إدقار فور، فيليكس قايار، وفي موللي الثانية: فليلمان، وقوضت أركان الجمهورية الفرنسية الرابعة. وزرعت الفشل والتفسخ والاضطراب في الجيش الفرنسي وألحقت به هزائم تاريخية رغم الدعم الكبير الذي كان يتلقاه من الحلف الأطلسي العسكري الغربي، وجعلته يتردى و يتمرغ في تمردات داخلية متوالية كذلك، كما حصل في ماي 1958 وأبريل 1960م وجانفي 1961.

واستطاعت هذه الثورة أن تحقق عزل فرنسا دوليا من الناحية

السياسية طوال سنوات الثورة السبعة، وأن تصيب الاقتصاد الفرنسي في الصميم وتخربه بما تكلف فرنسا من نفقات طائلة على جيشها وقواتها العسكرية و أجهزتها الاستعمارية، و بذلك أنهار و تضعضع وتدهور.

وامتد التفسخ والانحلال إلى أوساط الشعب الفرنسي الذي انقسم على نفسه بين مؤيد للحرب الاستعمارية ضد الشعب الجزائري و معارض ومستكر لها.

وهكذا أورثت الثورة الجزائرية فرنسا إفلاسا اقتصاديا وعزله سياسة دولية، وتفسحا اجتماعيا وهزائم عسكرية كبيرة، فاضطرت في النهاية أن تعترف بالواقع المر، بعد أن تأكدت بأن ما يجري في الجزائر ليس تمردا طائشا أو عصيانا خارجا عن القانون و إنما هو ثورة وطنية حقيقية وراءها قيادة كفؤة مدعمة بكل فئات الشعب تخطط بإحكام لكل أعمالها السياسية والعسكرية التي تهدف إلى تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال الوطني للشعب.

وهكذا أيضا أكرهت فرنسا في النهاية على أن تذهب إلى طاولة المفاوضات في مولان، إفيان ولوقران، لتجلس مع الذين زعمت في البداية أنهم((فلاقة)) ولصوص خارجون عن القانون، ودفعوا من الخارج للقيام بما سمته كذلك((إقلاق الأمن)) واعترفت بهم ممثلين شرعيين وحيدين للشعب الجزائري وثورته، وتفاوضت معهم على

قاعدة الاستقلال التام للجزائر.

ولم تفلح فرنسا في خلق تلاعبات و إثارة العقبات في طريق الاستقلال، فقد فشلت في فصل الصحراء عن الجزائر، وفشلت في إثارة الدولة المجاورة لها فيما دعتة قضية الحدود. و كانت دبلوماسية جبهة التحرير الوطني أقوى و أبلغ منها في الإقناع و التوضيح حتى لدى من كانت تظن أنهم سيكونون معه، و ضد الثورة الجزائرية خاصة تونس والمغرب الأقصى، وفشلت كذلك في خلق((القوى الثالثة)) من العملاء والخونة لتنافس بهم جبهة التحرير الوطني رغم الرحلات العديدة التي قام بها لويس جوكس آنذاك للجزائر و الاتصالات الواسعة والمكثفة التي قام بها مع المنحرفين الذين لا ضمير لهم ولا وطنية أمثال حمزة بوبكر.

5 - ثورة أول نوفمبر هي آخر حلقة في هزائم الجيش الفرنسي

إن دور ثورة أول نوفمبر الجزائرية في تحرير إفريقيا من الاستعمار، عظيم جداً والتاريخ هو الذي سينصفها و يقدر دورها عندما يتقدم الزمن، وتبعد الحوادث والمنصفون من الساسة الأفارقة اعترفوا بهذا الدور و ما تزال الاعترافات تتوالى، لأن ثورة أول نوفمبر هي التي حطمت فعلا وحقيقة الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحر، وكانت آخر حلقة في سلسلة الهزائم التي توالى على فرنسا طوال

6 - هزائم الجيش الفرنسي التاريخية

فلقد فشل الإمبراطور نابليون الأول في غزو مصر وسوريا واضطر أن ينسحب منها في مطلع القرن 19 بعد أن ألحق الأسطول الإنجليزي الهزيمة الساحقة بأسطوله في خليج أبي قير بالإسكندرية واضطر أن يعود متخفيا إلى بلاده يجر أذيال الخيبة والهزيمة عام 1803م.

وفشل في غزو روسيا عام 1812م وفقد في مغامرته الطائشة هذه معظم قواته العسكرية التي كانت تقدر بنصف مليون جندي، ولم يعد إلا بحوالي مائة ألف رجل يجر أذيال الخيبة والهزيمة وتحطم كبرياؤه وضاعت سمعته في أحراش موسكو بروسيا فتحاتم ضده عروش أوروبا وأرغمته على التنازل عن امبراطوريته والعيش منفيا في جزيرة سانت هيلانت بخليج غانة الكبير غرب إفريقيا داخل المحيط الأطلسي حتى توفي هناك وحملت فيما بعد رفاته إلى متحف الإزافاليد عام 1840م.

وفي عام 1870م هزم حفيده الإمبراطور نابليون الثالث أمام قوات بروسيا الألمانية وأسره الألمان مع 130 ألف جندي وضابط من جيشه على إثر هزائم ميتز وسيدان واحتلوا باريس وتوجوا إمبراطورهم "قيوم" على رأس الدولة الألمانية الموحدة في إحدى قاعات قصر فيرساي بضواحي باريس مبالغة في النكاية وكان ذلك

نكبة وطنية لفرنسا و جيشها.

وفي الحرب العالمية الأولى 1918-1941 م تعرضت فرنسا لهزيمة رابعة ولم ينقذها من تحت أقدام الألمان سوى الإنجليز والأمريكان الذين تعرضت مصالحهم الوطنية والقومية للخطر، ولكن الألمان جددوا الكرة ضدها في الحرب العالمية الثانية 1939-1945 م وهزموها وأذلوها واحتلوها كلها وأرغموا الماريشال بيتان على العمالة لهم ولم ينقذها كذلك إلا نجدة الإنجليز والأمريكان مرة أخرى وروسيا وسواعد الأفارقة وإمكانيات بلادهم المادية ومنها الجزائر التي جندت من شبابها أكثر من 400 ألف شاب وكهل وسخرت كل إمكانياتها الاقتصادية للأغراض الحرب.

ولم تنته مشاكل الحرب العالمية الثانية وأهوالها، حتى دخلت فرنسا في حرب استعمارية ضد الشعب الفيتنامي بالهند الصينية، وكان نصيبها الفشل والهزيمة النكراء خاصة في العركة دينا بيان في عام 1954 التي أسر فيها الفيتناميون 10 آلاف جندي وضابط وأرغموا الحكومة الفرنسية على الذهاب صاغرة مذلولة إلى طاولة المفاوضات بجنيف في نفس العام لتمضي على صك رحيلها وانسحابها بصفة نهائية من تلك البلاد.

ومن سوء حظها عندما انسحبت من الهند الصينية، أن الثورة

الجزائرية كانت على الأبواب، ولم يبق لها سوى بضعة أسابيع لتتدلع وتتفجر وتصبح أخطر قضية تواجهها في عقد الخمسينات من هذا القرن، وكانت هذه الثورة بالنسبة لجيشها رهانا على كسب الانتصار ضدها وانتزاعه مهما كان الثمن الذي ستدفعه فرنسا حتى يعوض عن كل هزائمه السابقة عبر قرن ونصف قرن من الزمن، فما هي حيلها وأساليبها في ذلك؟

إنها التخلي عن كل المستعمرات الفرنسية في، وهنا تأتي أهمية الثورة الجزائرية في تحرير القارة الإفريقية وشعوبها من الاستعمار الأوروبي بكافة أشكاله وأنواعه، وإيقاظ الأفارقة من سبات النوم والغفلة، وتحريضهم على الكفاح والمقاومة.

7 - دور الثورة الجزائرية في تحرير إفريقيا

فبعد إمضاء اتفاقية جنيف حول الهند الصينية عام 1954 م، طار رئيس الحكومة الفرنسية مانديس فرانس إلى تونس وصحب معه الماريشال جوان صاحب التجارب الفاشلة في المغرب الأقصى، وأعلن هناك منح تونس استقلالا ذاتيا داخليا سوريا لمدة عشرين عاما، ولكن الشعب التونسي لم يرض بهذا الاستقلال المبتور، وتدعم كفاحه بقيادة الثورة في المغرب الأقصى والجزائر، خاصة بعد 20 اوت 1955 في الشمال القسنطيني بشرق الجزائر، تضامنا مع الشعب المغربي في محنته، واضطرت فرنسا أن تعترف بالاستقلال التام

للمغرب الأقصى، وعاد محمد الخامس من منفاه مرفوع الرأس في حين اضطر القاوي صنيعة الاستعمار أن يذهب رابعا إلى فرنسا لمقابلة محمد الخامس والاعتذار له عما بدر منه من خيانة ولؤم، كما اضطر الملك الصوري العميل محمد بن عرفة أن ينسحب إلى طنجة، ثم إلى منفاه خارج المغرب.

وهذه الأحداث المزدحمة، والهائلة بالمغرب الأقصى والجزائر كانت حافز لبورقيبة ليشد الرحال إلى باريس وينتزع من قي موللي رئيس الحكومة الفرنسية الاستقلال التام لبلاده تونس أسوة بالمغرب الأقصى ولم يكن هناك بد من ذلك، لأن فرنسا غرقت إلى الأذقان في أحداث ثورة الجزائر المظفرة والجيش الفرنسي في رهان من أجل الحصول على الانتصار ضدها.

وعندما انتصر الاشتراكيون في انتخابات مطلع عام 1956م، توقع المراقبون أن تتصف فرنسا ثورة الجزائر وكنا نحن الجزائريين نعرف أنها سوف لن تفعل شيئا، لأن الاشتراكيين الفرنسيين واليسار الفرنسي بصفة عامة لا يختلفون عن أحزاب اليمين الفرنسي تجاه الجزائر والثورة الجزائرية، ولم يكونوا يفكرون في حل جذري لقضيتها، وصدق حدسنا بسرعة لأن في موللي الأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي، ورئيس الحكومة الفرنسية الجديدة، سرعان ما تراجع بسرعة عن أفكاره وتصريحاته المشجعة، بعد ضربات الطماطم التي تلقاها من أوروبي الجزائر

المتعصبين العنصريين غداة زيارته لها صباح يوم 6 فبراير 1956 فقبل استقالة الجنرال كاترو الذي لم يلتحق أصلا بخرافة "ربع الساعة الأخير" الذي بقي من عمر الثورة الجزائرية لتموت وتندثر، ولم يكن يدري المسكين أن ذلك الربع الأخير " رבעه هو " ليسقط ويهوي ويخلفه وينتهي إلى نفس المصير الفيلسوف المفلس " جاك سوستيل " الذي غرق في أدغال الثورة الجزائرية المظفرة التي بقيت شابة وقوية تدوس بأقدامها كل هؤلاء الأذعياء، وتسقط كل الحكومات الفرنسية، وتطيح بالجمهورية الفرنسية الرابعة بأكملها.

فقد امتد التعفن السياسي في فرنسا إلى الجيش العسكرية نفسه، الذي أصبح يشعر بالمرارة من الهزائم النكراء التي توالى عليه تباعا وظن قاداته أن التمرد والتحدي ضد السلطة المدنية سينقذه من الفشل، ويسمح له بتحقيق النصر ضد الثورة الجزائرية، فتمرد ضباطه وجنرالاته بالجزائر صباح يوم 13 ماي 1958، وجاءوا الجنرال ديغول إلى الحكم من قريته المعزولة بـكولومبي، لينقذ ما دعوه وسموه بـ" الجزائر الفرنسية ".

ولم يكن هذا الرجل أقل عنادا من سابقه تجاه الجزائر، ولكنه يمتاز بنظرته البعيدة لمصالح فرنسا الداخلية والخارجية فأكثر من التردد على الجزائر ليطلع بنفسه على الأمور عن كثب، ومن الموقع في إطار ما عرف بـ" رحلات الموائد العسكرية " التي كان يقيمها

له ضباط الجيش، ورغم أنه تأكد من خطورة الثورة وصعوبة أدغالها، إلى أنه صمم هو الآخر على العناد والتحدي ولكن على غرار قول شاعر: كالمهر يحي انتفاخا صولة الأسد، فأخذ يدعم جيشه بالعدة والعدد، ودعا الثوار الجزائريين إلى الاستسلام ورفع العلم الأبيض، فيما دعاه "سلم الأبطال الشجعان".

8 - التفرغ لتصفية الاستعمار الفرنسي في إفريقيا

وكمحاولة لتحدي الثورة الجزائرية، والتفرغ لمواجهتها، التفت إلى مشاكل المستعمرات الفرنسية الأخرى في إفريقيا. وكانت شعوب المستعمرات قبل اندلاع ثورة نوفمبر الجزائرية شبه نائمة ومستكينة لسبات الغفلة والتخلف فأيقظتها هذه الثورة بضجيجها وهديرها وتساءلت عما يجري في شمل قارتها وتحسست الأمور وعندما علمت بالحقيقة وبخطورة نومها وغفلتها رأت أن تستغل الفرصة وتستفيد من الوضع الجديد على غرار ذلك الأعرابي الذي أقحم نفسه في زمرة الشعراء وأجاب الأمير بقوله:

ولما رأيت الناس شدوا رحالهم إلى بحرك الطامي أتيت بجرتي

وكانت صيحة " لا " التي أعلنها شعب غينيا عام 1958م بداية لمسيرة شعوب القارة السمراء نحو التحرر وتحقيق الاستقلال الوطني، واضطر ديغول أن يعترف بذلك الواقع، فسلم بحق شعب غينيا في الاستقلال والانفصال عن فرنسا، ولكن حاول أن يقتله بقطع المساعدات الاقتصادية الفرنسية عنه بصفة كاملة. كان شريان الحياة لا ينبع إلا من باريس، غير أن الشعب الغيني لم يبال بهذا التهديد وواصل مسيرته وبقي حيا يرزق، وما يزال يتابع عمله وبناء وطنه بنجاح واضطرت فرنسا بعد أكثر من إحدى وعشرين عاما أن تعترف بهذا الواقع الجديد وتمديد المصالحة إلى الشعب الغيني

وقيادته، وقد أقحم ديغول البلدان الإفريقية فيما سماه بالاتحاد الفرنسي حتى لا تفلت منه ويوقف إمكانيات فرنسا لمحاربة الثورة الجزائرية وحدها، ولكن العكس هو الذي حصل فبعد تجربة غينيا الناجحة أخذت باقي الشعوب الإفريقية الأخرى تعلن صيحتها وتطالب بحقوقها في الاستقلال والحرية، وعمّ الغضب سائر بلدان إفريقيا الوسطى والغربية، واضطرت فرنسا أن تسم باستقلالها بالجملة وأمضى رئيس وزرائها ميشيل دوبري في يوم واحد عام 1960 م على استقلال اثني عشر بلدا إفريقيا في غرب إفريقيا ووسطها، بعد الاعتراف باستقلال موريتانيا الإسلامية في نفس العام، ومن ضمن هذه البلدان " مالي، السنغال، فولتا العليا، ساحل العاج، الداهومي، إفريقيا الوسطى، تشاد، النيجر، الغابون، الكونغو، برازافيل والكاميرون ولم يكن هذا الاعتراف كرما وسخاء من فرنسا وإنما بفضل الثورة الجزائرية التي كانت بمثابة البعع تناطحها وتشبعها ركلا ورفسا من كل جانب.

وكانت فرنسا تظن وتتصور أن التخلص من مشاكل مستعمراتها الأخرى في إفريقيا يتيح لها الفرصة والقوة لكي تطعن ثورة الجزائر وتقضي عليها وعلى أخطارها، ولكن الجزائر كانت "مسمار جحا" في جسمها الهرم، وجاءت الفائدة مزدوجة، فتحررت إفريقيا كلها من رجس الاستعمار الفرنسي، البريطاني والبلجيكي، وتحررت الجزائر بعدها وكانت خير رائد لقاافلة التحرر الإفريقية

ثم العالمية بعد ذلك.

9 - ثورة أول نوفمبر مفخرة العرب و الأفارقة جميعا

إن انتصار ثورة أول نوفمبر 1954 م الجزائرية، يعتبر مفخرة للعرب والمسلمين جميعا لأنها رفعت رؤوسهم عالية، بعد أن أذلت عشرات السنين، وأعادت الإسلام لمركزه وإشرافه على هذه البلاد بعد أن حاول الاستعمار الفرنسي القضاء عليه وتعويضه بالدين المسيحي النصراني الأوروبي وفي نفس الوقت فإن هذه الثورة الجزائرية مفخرة إفريقيا كلها، والأفارقة جميعا، لأنها هي التي أعادت الثقة لشعوبهم، وزرعت فيهم روح الأمل والحيوية والحياة الحرة وحفزتها على مسح غبار الغفلة والتخلف، ودفعتها إلى العمل من أجل التحرر الوطني وطرد المستعمرين الدخلاء المستغلين وتم ذلك لها فعلا دون ضحايا كثيرة، دون وقت طويل على عكس الجزائر، وليس من قبيل الصدفة أن تختار الجزائر بعد ذلك كمكان لتصفية الاستعمار البرتغالي آخر استعمار أوروبي وأقدمه في إفريقيا، وذلك عام 1974م وما بعده.

أما الجزائر فإن ثورة أول نوفمبر هي: "معركتها الكبرى" بلا منازع، ولا جدال، ذلك لأن الجزائر وإن عاشت تاريخها ماجدا عبر تاريخها الطويل، إلا أن الشعب الجزائري كان باستمرار شبه معزول عن الحياة الحقيقية، ويعيش على هامش الأحداث والتطورات التي هو صانعها ومنشئها، وذلك نظرا لتحكم الأسر

والعائلات الإقطاعية المالكة في مصيره هذه الظاهرة وإن كانت قدرا مشتركا بين شعوب العالم خلال العصر الوسيط، وجزء كبير من العصر الحديث، إلا أن الجزائر كان لها وضع خاص ميزها عن غيرها، فقد بليت بالغزوات الاستعمارية منذ فجر تاريخها، وعندما تمتعت بالاستقلال في بعض العصور الإسلامية كان ذلك في إطار الأسرة والعائلات الإقطاعية والبورجوازية الحاكمة.

ولم يتنفس شعب الجزائر الصعداء، إلا بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م الشعبية التي طردت الاستعمار وطردت معه بقايا هذه الأسر الإقطاعية الطاغية والمتجبرة، وهذه أول مرة في التاريخ يمسك فيها شعب الجزائر مصيره بأيديه بصورة حقيقة وينعم بالحرية والاستقلال الحقيقيين، كذلك ويشارك بجميع فئاته في إدارة بلاده وفي عمليات البناء والتشييد الحضاري في أوسع مجالاتها دون واسطة وهذه أول مرة في التاريخ كذلك تشارك فيها الجزائر بجميع فئاتها في ثورة تحريرية جماعية شاملة من أجل طرد المحتل الغاصب بالقوة والعنف، مثلما سقطت بيده بالقوة والعنف وهذا جانب من عظمة ثورة أول نوفمبر وانتصارها بحيث استعادت بالقوة الاستقلال الذي ضاع بالقوة كذلك.

إن الثورة أول نوفمبر 1954 م من الأحداث العالمية الكبرى في التاريخ المعاصر، انعكست أثارها الحسنة والايجابية على معظم شعوب

العالم، وخاصة في إفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية، وتمثل رائدة لها في الكفاح الوطني، وفي مجالات البناء والتشييد وفي المواقف البناءة والدؤوبة تجاه القضايا العالمية المعاصرة وستبقى هكذا مثلاً رائداً، طالما حافظت على مسارها، وتمسكت بأهدافها الوطنية والتزمت بالوقوف دائماً إلى جانب القضايا العادلة، كما هي عاداتها.

بعض المراجع ذات الصلة بالبحث

1 - العربية:

- أ - ثورات الجزائر بين القرنين التاسع عشر والعشرون.
(قسنطينة - دار البعث 1980)، ص550، ط2 (الجزائر 1996)، 2 أجزاء
- ب - ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف ديغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960.
- الأصالة العدد 73-74 (الجزائر - سبتمبر / أكتوبر 1979)، ص23-42.
- ج - حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية - مجلة البحوث التاريخية عدد2، (طرابلس - ليبيا)، ص271-286.
- د - ما كتب عن ثورة أول نوفمبر 1954، عرض وتصنيف وتقييم، مجلة الثقافة، عدد 83، (الجزائر) - سبتمبر / أكتوبر 1984، ص213 - 242.
- هـ - الطريق إلى نوفمبر، كما يرويها المجاهدون، المقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر 1954، 3 أجزاء (الجزائر - بدون تاريخ) (شكري د. محمد فؤاد).
- و - الصراع بين البورجوازية والإقطاع (القاهرة - 1958) 3 أجزاء.
- ز - الثورة الجزائرية وصداها في العالم، (الجزائر - 1985).

2 - الجرائد والمجلات :

- المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني 1957-1962.
- المقاومة الجزائري 1955 - 1957.
- الأصالة 1971-1981.
- الثقافة 1971-1984.
- مجلة التاريخ 1972-1983.

